العفـــو
فى القرآن الكريـــم
· دراسة موضوعية ·

دكتور
طه عبد الخالق عبد العزيز طيطه
الأستاذ المساعد بقسم التفسير
وعلوم القرآن

الحمد لله العفو الغفور، الذى يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون.

والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ صاحب الأخلاق العظيمة، والفضائل الحميدة، المؤدب بآداب القرآن، فكان عفواً رحيماً لين الجانب.

وعلى آله وأصحابه الذين تحلوا بتلك الصفة الكريمة، فحلموا على من جهل عليهم، وعفوا عمن ظلمهم، وأعطوا من حرمهم، ووصلوا من قطعهم، فكانوا أخوة متحابين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

وبعد

فإن العفو من أمهات الفضائل التى تحلى بها الرسول ﷺ واقتدى به صحابته رضى الله عنهم أجمعين، وهو من الصفات التى يجب أن يتحلى بها المسلم أينما كان، وأن يتواصى بها المؤمنون فى المجتمع الذى يعيشون فيه، وإنى أعرض هذا الموضوع "العفو فى القرآن" عرضاً موضوعياً أوضح فيه تلك المعانى بأسلوب سهل يسير.

وأرجو أن أكون قد قمت ببعض ما يجب علىَّ من حبى وخدمتى لكتاب مولاى سبحانه، ولا أدعى أنى قمت ببحث هذا الموضوع على وجه الدقة والكمال، فهذا أمر لا أدعيه، ولكنها المحاولة، وحسبى أنى للخير قصدت، والجهد بذلت، فإن أحسنت فمن الله، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(١).

وإن كانت الأخرى فهو العفو الغفور ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(٢).

المؤلف

دكتور

طه عبد الخالق عبد العزيز طيطه

١- سورة هود، آية ٨٨.

٢- سورة البقرة، آية ٢٨٦.

تعـريف العفـو:

العفو فى اللغة: يطلق على خالص الشئ وأطيبه، وعلـى الفضـل الزائد فيه أو منه، وعلى السهل الذى لا كلفة فيه، وعلـى مـا يـأتى دون طلب، ويطلق أيضاً على الإزالة والترك.

يقال: عفا عنه يعفو عفواً.

قال الخليل: وكل من استحق عقوبة فتركته فقد عفوت عنه.

وعفو الله عن خلقه، وذلك تركه إياهم فلا يعاقبهم.

وقال أهل اللغة: يقال من الشعر عفوته وعفيته، مثل قلوته، وقليته، وعفا فهو عافٍ، وذلك إذا تركته حتى يكثر، ويطول. قال تعـالى: ﴿حَتَّـىٰ عَفَوا﴾[١]؛ أى: عفوا، وكثروا.

وهذا يدل على أن أصل الباب فى هذا الوجه الترك[٢].

وقال الراغب: وعفوت عنه قصدت إزالـة ذنبـه صارفـاً عنـه، فالمفعول فى الحقيقة متروك، وعن متعلق بمضمر، فالعفو هو التجافى عـن الذنب[٣]. أ. هـ.

العفو فى الاصطلاح: هو ترك عقاب المذنبين المستحقين للعقاب.

ورود لفظ "عفا" فى القرآن الكريم

ورد هذا اللفظ ستاً وثلاثين مرة فى القرآن الكريم[٤].

فورد متصلاً بالله تعالى عشرين مرة.

منها وصفه تعالى بالعفو أربع مرات.

وورد عفو الرسول ﷺ أربع مرات.

وورد عفو العباد بعضهم عن بعض عشر مرات.

١- سورة الأعراف، آية ٩٥.

٢- انظر معجم مقاييس اللغة، "كتاب العين باب العين وما بعدها فى المضـاعف والمطابق"، لأبى الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، طبعـة الحلبى، ٥٦/٤، وما بعدها، ولسان العرب لابـن منظـور، مـادة "عفـو"، والقاموس المحيط، للفيروز آبادى، فصل العين باب الواو والياء.

٣- مفردات القرآن للراغب الأصفهانى، طبعـة دار الفكـر للطباعـة والنشـر، بيروت، مادة "عفا".

٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن للأستاذ محمد فؤاد عبـد البـاقى، طبعـة دار الشعب، مادة عفا، ص ٤٦٦.

وورد العفو بمعنى الزيادة عن الحاجة فى قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[١].

وورد بمعنى كثرة الأموال والأولاد فى قوله تعالى: ﴿ثُـمَّ بَدَّلْنَـا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ﴾[٢].

الأنواع الجامعة "للعفو" فى القرآن الكريم

بعد التأمل فى آيات القرآن الكريم التى ورد فيها ذكر مادة "عفـا"، وبعد رد الأشباه والنظائر إلى أصول جامعة، يمكن تلخيصها فى الأنـواع الآتية:

النوع الأول: عفو الله تعالى عن العباد ويشتمل على أمرين:

١- عفو الله تعالى عن رسوله.

٢- عفو الله تعالى عن المذنبين.

النوع الثانى: عفو الرسول عن العباد.

النوع الثالث: عفو العباد بعضهم عن بعض.

وسأتحدث - إن شاء الله تعالى - عن كل نوع منها تفصيلاً علـى هذا الترتيب.

النوع الأول: عفو الله تعالى عن عباده

ورد ذكر عفو الله تعالى عشرين مرة فى القرآن الكريم، منها قولـه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَـا تَفْعَلُونَ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْـرِ كَـٱلْأَعْلَـٰمِ إِن يَشَـأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾[٤].

والعفو: اسم من أسمائه الحسنى.

ومعناه: (هو الذى يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصى)[٥].

١- سورة البقرة، آية ٢١٩.

٢- سورة الأعراف، آية ٩٥.

٣- سورة الشورى، آية: ٢٥.

٤- سورة الشورى، آية: ٣٢ - ٣٤.

٥- المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى، تحقيق محمـد عثمان الخشت، طبعة مكتبة القرآن، ص ١٢٤.

وورد فى آية أخرى عفوه تعالى عن رسوله محمد ﷺ، فهل يعتبر هذا – معاذ الله – داخلاً فى عموم عفوه تعالى عن الذنوب؟ أم ماذا؟ الجواب فيما يأتى.

عفو الله تعالى عن رسوله:

كان المؤمنون إذا استنفرهم الرسول ﷺ للجهاد نفروا مجيبين أوامره ﷺ.

أما المنافقون فقد كبر عليهم هذا الأمر، وأخذوا يختلقون الأعذار الكاذبة؛ للتخلف عن الجهاد فأذن لهم الرسول ﷺ .

قال مجاهد: نزلت هذه الآية ﴿**عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىَ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ**﴾[١] فى أناس قالوا استأذنوا رسول الله ﷺ فإن أذن لكم فاقعدوا، ..."[٢].

وإذن الرسول لهم نابع من قلبه الرحيم، وكان ﷺ رءوفاً رحيماً، وتلك فطرته: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[٣]، وكان من الممكن أن يأخذ الرسول ﷺ هذه الأمور بالجسم، فعدل عن ذلك إلى الرحمة.

فالآية تبرز عظيم أخلاقه ﷺ : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىَ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٤]، وذهب بعض العلماء فى جرأة يتحدث عن هذه الآية مسيئاً الأدب فى التعبير عن عفو الله تعالى عن رسوله ﷺ، يقول الزمخشرى: "عفا الله عنك" كناية عن الجناية؛ لأن العفو رادف لها، ومعناه أخطأت، وبئس ما فعلت، و ﴿**عَفَا اللَّهُ عَنكَ**﴾ بيان لما كنى عنه بالعفو، ومعناه مالك أذنت لهم فى القعود عن الغزو حين استأذنوك، واعتلوا لك بعللهم، وهلا استأنيت بالإذن ﴿**لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ**﴾ من صدق فى عذره ممن كذب فيه. أ. هـ[٥]، وأجاب الإمام الرازى عن ذلك فقال:

الجواب عن الأول: لا نسلم أن قوله ﴿**عَفَا اللَّهُ عَنكَ**﴾ يوجب الذنب، ولم يجوز أن يقال: إن ذلك يدل على مبالغة الله فى تعظيمه

١- سورة التوبة، آية ٤٣.

٢- تفسير ابن كثير طبعة مكتب التراث الإسلامى، حلب، ٢/ ٣٦٠.

٣- سورة الأنبياء، آية ١٠٧.

٤- سورة القلم، آية ٤٩.

٥- تفسير الكشاف، طبعة مصطفى الحلبى، ٢/ ١٩١ – ١٩٢.

وتوقيره، كما يقول الرجل لغيره: إذا كان معظمها عنده: عفا الله عنك ما صنعت فى أمرى؟ ورضى الله عنك، ما جوابك عن كلامى؟ وعفاك الله، ما عرفت حقى فلا يكون غرضه من هذا الكلام إلا مزيد التبجيل والتعظيم.

وقال على بن الجهم فيما يخاطب به المتوكل، وقد أمر بنفيه:

عفا الله عنك ألا حرمة ... تعود بعفوك إن أبعدا
ألم تر عبداً عدا طوره ... ومولى عنا ورشيدا هدى
أقلنى أقالك من لم يزل ... يقيك ويصرف عنك الردى

والجواب عن الثانى: لا يجوز أن يقال: المراد بقوله ﴿**لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ**﴾ الإنكار؛ لأنا نقول : إما أن يكون صدر عن الرسول ذنب فى هذه الواقعة، أو لم يصدر عنه ذنب. فإن قلنا: إنه ما صدر عنه ذنب امتنع على هذا التقدير أن يكون قوله: ﴿**لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ**﴾ إنكار عليه. وإن قلنا: إنه كان قد صدر عنه ذنب، فقوله: ﴿**لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ**﴾ يدل على حصول العفو، وبعد حصول العفو عنه يستحيل أن يتوجه الإنكار عليه، فلبثت أنه على جميع التقادير يمتنع أن يقال: إن قوله: ﴿**لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ**﴾ يدل على كون الرسول مذنباً، وهذا جواب شافٍ قاطع.

وعند هذا يحمل قوله: ﴿**لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ**﴾ على ترك الأولى والأكمل، ولا سيما وهذه الواقعة كانت من جنس ما يتعلق بالحروف، ومصالح الدنيا. أ. هـ[١].

ويرد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق الدكتور/ عبد الحليم محمود – عليه سحائب الرحمة والرضوان – على المتحدثين عن خطأ النبى ﷺ – معاذ الله – فى الرأى، أو إصابته فيه فيقول عند حديثه عن تلك الآية: "إن الذين دينهم الجدل يتحدثون كثيراً عن قوله تعالى: ﴿**عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ**﴾، ويقذفون بضلالهم مباشرة، فيقولون: إن العفو لا يكون إلا عن خطأ.

١- مفاتيح الغيب، للإمام الرازى، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٦/٥٩ – ٦٠.

ولهؤلاء نقول: إن الأساليب العربية فيها من أمثال هـذا الكثير، ومنها قولهم مثلاً: غفر الله لك، لماذا تشق على نفسك كل هذه المشقة؟ عفا الله عنك، لم تُعنى نفسك فى سبيل هؤلاء؟ وكأن القائل يقول: رضى الله عنك؟ لم ترهق نفسك كل هذا الإرهاق؟ إن الآية القرآنية من هذا الوادى.

وضم هذه الآية الكريمة إلى أختها فى سورة النور: ﴿**فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ**﴾[١]، تجد المعنى واضحاً جلياً، وهو أن الله سبحانه فوض الأمر لنبيه - صلوات الله وسلامه عليه - فى أن يأذن لهم، أو لا يأذن.

ليس النبى إذن معاتباً بهذه الآية - وحاشاه - بل كان ﷺ مخيراً، فلما أذن لهم أعلمه الله أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا، ولتخلفوا بسبب ثقافتهم، وأنه - مع ذلك - لا حرج عليه فى الإذن لهم.

إنها آية مدح للرسول غاية فى الدقة.

ومن غير شك قد صدر الإذن لهم عن قلب رحيم، وعن هذا القلب الرحيم، وعن هذه الرحمة الفياضة، كان الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يصدر فى أحكامه، وما كان فى ذلك إلا متناسقاً مع قوله تعالى: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[٢]، وهكذا الأمر فى كل ما يمارى فيه الممارون. أ.هـ[٣].

عفو الله عن المذنبين:

من فضل الله تعالى على عباده ورحمته بهم أن حبب إليهم الطاعة، وأمرهم بها، وكره إليهم المعصية، ونهاهم عنها، وفتح أمامهم باب الإنابة إليه فتوجهوا إلى بابه طالبين العفو منه ﴿**وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[٤]، "أو هو تعليم منه

١- سورة النور، آية ٦٢.
٢- سورة الأنبياء، آية ١٠٧.
٣- دلائل النبوة، ومعجزات الرسول طبعة دار الإنسان للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٦، ٢٧.
٤- سورة البقرة، آية ٢٨٦.

تعالى لعباده كيفية الدعاء والطلب منه، وهذا من غاية الكرم والإحسان، يعلمهم الطلب؛ ليعطيهم، ويرشدهم للسؤال ليثيبهم"[١].

وأمرهم بالتوبة من ذنوبهم التى اقترفوها، ومن سيئاتهم التى اجترحوها، ووعدهم - (ومن أوفى بعهده من الله) - أن يكفرها عنهم إذا تابوا، ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُواْ عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾[٣].

ففضل الله لا حدود له، إذ حض عباده على مبادرة التوبة فإنه سبحانه يعفو عن السيئات، والذنوب، وإن عظمت فإن عفو الله أعظم، يقول العلامة الألوسى عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَيَعْفُواْ عَنِ السَّيِّئَاتِ**﴾ صغائرها وكبائرها من غير اشتراط شئ، كالتوبة للكبائر، واجتنابها للصغائر. أ.هـ[٤]

وقال الطيبى: المعنى: من شأنه تعالى قبول التوبة عن عباده إذا تابوا، والعفو عن سيئاتهم بمحض رحمته، أو بشفاعة شافع.أ.هـ[٥]

وظاهر اللفظ يدل على عموم السيئات، وهو مخصوص بغير الشرك لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ**﴾[٦]، فعفوه تعالى مردود إلى مشيئته سبحانه غير موقوف على توبة العبد.

وفى معرض حديث القرآن عن غزوة أحد يظهر استمرار العناية الإلهية بالمؤمنين، ويبين سبب هزيمة المسلمين، وإلقاء التبعة عليهم، وأنه تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَآ أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ**

١- روح المعانى للعلامة الألوسى، طبعة دار الفكر، ٣/ ٧١.
٢- سورة طه، آية ٨٢.
٣- سورة الشورى، آية ٢٥.
٤- روح المعانى، ٣٦/٢٥.
٥- المرجع السابق.
٦- سورة النساء، آية ٤٨، ١١٦.

وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٢].

وكانت مخالفة بعضهم معصية مع أنها ناشئة عن اجتهاد منهم، وليس عن استخفاف بأمر الرسول ﷺ؛ لأن المقام مقام قتال، ومن شأن الجهاد الطاعة للقائد.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[٤]، ويهدئ القرآن الكريم من روعهم، ويسكن خاطرهم فيعقب اللوم بالعفو، فقال: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾، ويؤكد هذا المعنى بقوله: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، فعجل لهم بالعفو النابع من فضله تعالى على المؤمنين، وكرر سبحانه الإخبار بالعفو عنهم فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾، مؤانسة لهم، ولطفا بهم فهو غفور حليم بعباده المؤمنين.

وهذا ويفسح الله تعالى باب العفو، والمغفرة عن عباده، فيكون عقب أداء العبادات مثل فريضة الحج إذا كان مبروراً.

روى الإمام البخارى بسنده عن أبى هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من حج لله فلم يرفث، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه[٥]".

والعفو عن السيئات بسبب الشهادة فى سبيل الله.

روى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين"[٦].

والعفو عن السيئات باتباعها الحسنات.

١- سورة آل عمران، آية ١٥٢.

٢- سورة آل عمران، آية ١٥٥.

٣- سورة النور, آية ٥٤.

٤- سورة النور، آية ٥٤.

٥- صحيح البخارى، : "الحج" ب فضل الحج المبرور، فتح البارى ٣/ ٤٤٦.

٦- صحيح مسلم، : "الإمارة" ب من قتل فى سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، الترغيب والترهيب، للحافظ المنذرى، نشر مكتبة الدعوة بالقاهرة، ٢/ ١٨٩.

روى الترمذى بسنده عن أبى ذر، ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: "اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"[١].

وعن أبى هريرة ﷺ قال: "جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنى عالجت امرأة فى أقصى المدينة، وإنى أصبت منها ما دون أن أمسها فأنا هذا، فاقض فى ما شئت. فقال له عمر : لقد سترك الله لو سترت نفسك. قال: ولم يرد عليه النبى ﷺ شيئا، فقام الرجل فانطلق فاتبعه النبى ﷺ رجلاً فدعاه فتلا عليه هذه الآية: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[٢].

فقال رجل من القوم يا نبى الله هذا له خاصة، قال بل للناس كافة.[٣]

ومن فضل الله تعالى على عباده أنه لا يؤاخذ الناس فى الدنيا بكل ذنب وقع منهم ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[٤]، وقال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلاَمِ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾[٥].

يذكر الله تعالى عباده ببعض نعمه التى هى دلائل على توحيده تعالى، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ﴾ فهو رحيم بهم حيث هيأ لهم كل ما يحتاجون إليه، وسهل عليهم أمور حياتهم، فأجرى لهم السفن بقدرته ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي

١- سنن الترمذى، ك "البر ب" ما جاء فى معاشرة، المستدرك للحاكم، وصححه، ١/٥٤،

٢- سورة هود آية ١١٤.

٣- صحيح البخارى، ك "مواقيت الصلاة" ب الصلاة كفارة، وصحيح مسلم، ك "التوبة" ب، قوله تعالى: (إن الحسنات يذهبن السيئات)، أحمد فى المسند بنشر المكتب الإسلامى، ١٠/٥١٠، الطبرى، ١٥/٥١٦، (١٨٦٦٨)، تحقيق الشيخ شاكر، والبغوى فى التفسير، طبعة دار المعرفة، بيروت، ٤٠٥١، سنن الدارقطنى، دار المحاسن للطباعة، ك "الطهارة" ب، صفة ما ينقض الوضوء.

٤- سورة فاطر، آية ٤٥.

٥- سورة الشورى, آية ٣٢ – ٣٤.

يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾[1] فلا يقدر أحد على تسكينها، إلا الله سبحانه، **﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾**، فتقف السفن على متن البحر.

وإما أن يرسل عليهم ريحاً عاصفاً فتهلك السفن ومن عليها بسبب ذنوبهم **﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾**، **﴿فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً﴾**[1]، لكن الله تعالى ينجى كثيراً من الناس بعفوه تعالى عنهم.

ومثل ذلك قوله تعالى: **﴿وَمَآ أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾**[2]، فأى مصيبة من المصائب تصيب الإنسان كالأمراض، والنكبات، فإنها بسبب المعاصى التى اكتسبتموها، **﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾** من الذنوب فلا يعاقب عليها رحمة منه وفضلاً.

روى الإمام البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها"[3].

وروى البخارى أيضاً عن أبى سعيد الخدرى، وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: "ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم - حتى الشوكة يشاكها - إلا كفر الله بها من خطاياه"[4].

وروى الإمام البخارى أيضاً عن عبد الله ﷺ قال: "أتيت النبى ﷺ فى مرضه - وهو يوعك وعكاً شديداً - وقلت: إنك لتوعك وعكاً شديداً، قلت: إن ذاك بأن لك أجرين. قال: أجل، ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر"[5].

وروى الإمام أحمد والترمذى وابن ماجة، وغيرهم عن على كرم الله وجه قال: قال رسول الله ﷺ : "خير آية فى كتاب الله **﴿وَمَآ أَصَابَكُمْ مِّن**

١- سورة الإسراء، آية ٦٦.
٢- سورة الشورى، آية ٣٠.
٣- صحيح البخارى، ك "المرضى" ب ما جاء فى كفارة المرض، الفتح ١٠/ ١٠٧.
٤- المرجع السابق.
٥- صحيح البخارى، ك "المرضى" ب شدة المرض، الفتح ١٠/١١٥.

مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ يا على ما من خدش، ولا نكبة قدم إلا بذنب، وما عفا الله عنه فى الدنيا فهو أكرم من أن يعود فيه، وما عاقب عليه فى الدنيا، فهو أعدل من أن يثنى على عبده"[1].

وفى هذا بشارة للمؤمنين؛ لأن الإنسان فى أغلب أحواله لا يخلو من آلام جسدية، أو نفسية، وهذه الآلام تكفر ذنوب من تحدث له، وظاهر هذه الأحاديث تعميم جميع الذنوب، لكن الجمهور خصوا ذلك بالصغائر للحديث الذى رواه مسلم، وغيره: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر"[2]، فحملوا المطلقات الواردة فى التكفير على هذا المقيد، ويحتمل أن يكون معنى الأحاديث التى ظاهرها التعميم أن المذكورات صالحة؛ لتكفير الذنوب، فيكفر الله بها ما شاء من الذنوب، ويكون كثرة التكفير، وقلته باعتبار شدة المرض وخفته.[3]

وهذه الآية مخصوصة بالمذنبين من المسلمين، أما الأنبياء فلا ذنب لهم، وقد تصيبهم المصائب.

فعن مصعب بن سعد عن أبيه ﷺ قال: "قلت يا رسول الله: أى الناس أشد بلاءً؟ قال الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل"[4].

يقول الألوسى: ويكون ذلك لرفع درجاتهم، أو لحكم أخرى خفيت علينا، وأما الأطفال والمجانين فقيل غير داخلين فى الخطاب؛ لأنه للمكلفين، وبفرض دخولهم أخرجهم التخصيص بأصحاب الذنوب فما

١- مسند أحمد ١/ ٨٥، ٤/ ٩٨، وفيه أزهر بن راشد وهو ضعيف، مجمع الزوائد ٧/ ١٠٤، ك "التفسير" ب، ومن سورة حم غسق، وقال ابن حجر: أزهر بن راشد ضعيف من الثامنة، انظر التقريب ١/ ٥١، ورواه الترمذى فى ك "التفسير"، ومن سورة حم غسق، وقال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ورواه ابن ماجة، ك "الحدود" ب الحدود كفارة.
٢- صحيح مسلم، ك "الطهارة" ب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر.
٣- انظر فتح البارى، ١٠/ ١١٣.
٤- رواه الترمذى فى كتاب "الزهد" باب ما جاء فى الصبر على البلاء، وقال هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة فى ك "الفتن" ب الصبر على البلاء، وسنن أحمد ١/ ١٧٢ - ١٧٤ - ١٨٠ - ٨٥، والحاكم فى المستدرك ١/ ٤٠ - ٤١، سنن البيهقى، الطبعة الأولى، ٣/ ٣٧٢.

يصيبهم من المصائب فهو لحكم خفية، وقيل فى مصائب الطفل رفع درجته، ودرجة أبويه، أو من يشفق عليه بحسن الصبر. أ.هـ[١]

عفو الله عن المستضعفين

ذكر الله تعالى عفوه عن المستضعفين من المسلمين الذين لم يستطيعوا الهجرة إلى المدينة المنورة فى معرض الحديث عن حال القاعدين عن الهجرة الظالمى أنفسهم، فاختاروا مجاورة المشتركين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِيَ أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيراً﴾[٢]. فوبخ الملائكة المتوفين الظالمى أنفسهم؛ لتقصيرهم فى أمر دينهم، فلم يظهروه، ولم يقيموا شعائره، وكذا انتظامهم فى إعداد المشركين تكثيراً لهم، وفيه مساعدة للمشركين من هذا الوجه، وتقاعسهم عن نصرة الدعوة الإسلامية من وجه آخر.

واعتذر هؤلاء عند ذلك بقولهم: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾، ولم يقبل الملائكة اعتذارهم قائلين لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾؛ أى: ترحلوا إلى بلدٍ آخر تتمكنون فيه من إقامة دينكم مثل ما فعل غيركم، فتهاجروا إلى الحبشة مرة، وإلى المدينة.

وكان جزاء هؤلاء المعتذرين يوم القيامة ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيراً﴾، وهذا الوعيد دليل على أن هؤلاء غير صادقين فى اعتذارهم.

لكن المستضعفين العاجزين عن الهجرة من قلة "لقلة جهد، أو لإكراه المشركين إياهم، وإيثاقهم على البقاء"[٣].

فاستضعافهم عذر صحيح، ولهذا استثنوا من الوعيد السابق، وهؤلاء مثل: عياش بن أبى ربيعة، وسلمة بن هشام، والوليد بن الوليد، وفى البخارى أن رسول الله ﷺ كان يدعو فى صلاة العشاء: اللهم نج عياش بن أبى ربيعة، اللهم نج سلمة بن هشام، اللهم نج الوليد بن الوليد، اللهم نج المستضعفين من المؤمنين[٤].

١- روح المعانى، ٢٥/ ٤١.
٢- سورة النساء، آية ٩٧.
٣- التحرير والتنوير، ١٧٦/٥.
٤- صحيح البخارى، ك "التفسير" ب، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كنت أنا وأمى ممن عذر الله"[١]، وبينهم القرآن ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ﴾[٢]

ووضح حالهم ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾[٣]، فلا يمكنهم اتخاذ أى حيلة فى الخروج من مكة، وليس لديهم معرفة بالطريق.

ومع ذلك كان عفوه تعالى عنهم غير مقطوع به، بل يرجى أن يعفو عنهم.

يقول ابن عاشور: "وفعل "عسى" فى قوله: (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) يقتضى أن الله لا يرجو أن يعفو عنهم، وإذا كان الله هو فاعل العفو، وهو عالم بأنه يعفو عنهم، أو عن بعضهم بالتعيين تعين أن يكون معنى الرجاء المستفاد من "عسى" هنا معنى مجازياً بأن عفوه عن ذنبهم عفو عزيز المنال، فمثل حال المعفو عنهم بحال من لا يقطع بحصول العفو عنه، والمقصود من ذلك تضييق تحقق عذرهم؛ لئلا يتساهلوا فى شروطه اعتماداً على عفو الله، فإن عذر الله لهم باستضعافهم رخصة وتوسعة من الله تعالى؛ لأن البقاء على إظهار الشرك أمر عظيم، وكان الواجب العزيمة أن يكلفوا بإعلان الإيمان بين ظهرانى المشركين، ولو جلب لهم التعذيب والهلاك، كما فعلت سمية أم عمار بن ياسر". أ.هـ[٤]

فقد يعفو الله عن الذنب قبل التوبة؛ لأن إخباره تعالى بالعفو يدل على حدوث الذنب.

عفو الله تعالى فى التشريع

كما أسبغ الله تعالى فضله على عباده، فعفا عن المخطئين، وغفر للمذنبين يسر على عباده، ورفع المشقة عنهم حتى لا يعجزوا عن أداء ما طلب منهم، ولا يلحقهم حرج مما كلفوا به.

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٥]، ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[١]، ويقول سبحانه بعد بيان الطهارة بالوضوء والغسل، ﴿إِنَّ اللّهَ

١- صحيح البخارى، "التفسير" ب، وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله ... الظالم أهلها.
٢- سورة النساء، آية ٩٨.
٣- سورة النساء، آية ٩٨.
٤- التحرير، والتنوير، ٥/ ١٧٧.
٥- سورة الحج، آية ٧٨.

كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾[٢]، ممتناً على عباده بالعفو عنهم/ مرخصاً لهم فى تـرك الاغتسال، وترك الوضوء الذى لم يذكر فى أول هذه الآية، وذكر فى آيـة المائدة، فالمقصود بيان حكم التيمم فى هذه الحالات: المـرض، والسـفر، وفقد الماء عقب الحدث الأصغر الموجـب للوضـوء، والحـدث الأكـبر الموجب للغسل.

١- فالمريض الذى اعتلت صحته حتى صار مانعاً له مـن اسـتعمال الماء مطلقاً سواء كان يتعذر استعماله، أم يتعذر الوصول إليه.

٢- المسافر، ولم يجد الماء فقد رخص له فى التيمم، ومعلوم أن التيمـم فى الحضر جائز، وإنما خص السفر بالذكر؛ لأنه الغالب من عـدم الماء.

٣- وفقد الماء عقب الحدث الأصغر ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَـآئِطِ﴾ كناية عما يخرج من أحد السبيلين، كما هى سنة القرآن فى الكنايـة عما لا يحسن التصريح به.

٤- فقد الماء عقب الحدث الأكـبر الموجـب للغسـل: ﴿أَوْ لاَمَسْـتُمُ النِّسَآءَ﴾، والملامسة هنا يحتمل أن يكون المراد بها ظاهرها، وهو الملامسة باليد جسد المرأة، أو بعض الجسد جسدها، فيكـون قـد ذكر سبباً ثانياً من أسباب الوضوء التى توجب التيمـم عنـد فقـد الماء.

وبهذا قد ذكر أغلب الأسباب الموجبة للطهارة الصغرى، والكبرى، وقوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ قيد فى المسافر، ومن جاء مـن الغـائط، ومـن لامس النساء، أما المريض فلا يتقيد تيممه بعدم وجدان الماء؛ لأنـه تيمـم مطلقاً، وذلك معلوم بدلالة معنى المرض"[٣].

وسبب تشريعه، ما فى الصحيح عن عائشة زوج النبى ﷺ قـالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء - أو بـذات الجيش - انقطع عقد لى، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقـام النـاس معه، وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبى بكر الصديق، فقالوا: ألا تـرى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليـس

١- سورة البقرة، آية ٢٨٦.

٢- سورة النساء، آية ٤٣.

٣- التحرير والتنوير للعلامة محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.

معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذى قد نـام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معـهم مـاء. فقالت عائشة: فعاتبنى أبو بكر، وقال: ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعننـى بيده فى خاصرتى، فلا يمنعنى من التحرك إلا مكان رسـول الله ﷺ علـى فخذى، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمـم، فتيمموا، فقال أسيد بن حضير: ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر. قـالت: فبعثنا البعير الذى كنت عليه، فأصبنا العقد تحته[١]. والتيمم من خصـائص شرعنا الحنيف ففى الصحيح عن جابر بن عبـد الله أن النبـى ﷺ قـال: "أعطيت أمتى خمساً لم يعطهن أحد قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شـهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتى أدركته الصـلاة فليصل، وأحلت لى الغنائم، ولم تحل لأحد قبلى، وأعطيت الشفاعة، وكـان النبى يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة[٢].

ومن خلال ذلك نرى أن الله تعالى رفع عن الخلق ما فيه ضـرر ومشقة، فلولا هذه الرخصة؛ لتعرضوا للحرج والضرر.

روى جابر بن عبد الله قال: خرجنا فى سفر فأصاب رجـلاً منـا بحجر فى رأسه، فشجة ثم احتلم، فقال لأصحابه: هل تجدون لى رخصـة فى التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة، وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمـات؛ فلما قدمنا على النبى ﷺ أخبر بذلك فقال: قتلوه، قتلهم الله، ألا سألوا إذا لـم يعلموا، فإنما شفاء العىِّ السؤال؛ إنما كان يكفيـه أن يتيمـم، ويعصـد، أو يعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليها، ويغسل سائر جسده"[٣].

ويبين قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ منشأ هذه الرخصة إذ عفا عنهم فلم يكلفهم الغسل، أو الوضوء عن المرض، ولا ترقب وجـود الماء عند عدمه، حتى تكثر عليهم الصلوات فيعسر عليهم القضاء"[٤].

ومن مظاهر هذا الأصل فى القرآن الكريم قوله تعالى فـى آيـات الصيام: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىَ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُـمْ وَأَنتُـمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَـانُونَ أَنفُسَـكُمْ فَتَـابَ عَلَيْكُـمْ وَعَفَـا

١- صحيح البخارى، ك "التيمم" ب، وصحيح مسلم، ط "الحيض" ب التيمم.

٢- صحيح البخارى، ك "الصلاة" ب قول النبى ﷺ جعلت لى الأرض مسجداً، أو طهوراً.

٣- سنن أبى داود، ك "الطهارة"، ب فى المجروح يتيمم.

٤- التحرير والتنوير، ٥/ ٧١.

عَنْكُمْ﴾[١]، ذهب جمهور المفسرين إلى أنه فى أول شريعة محمد ﷺ كان الصائم إذا أفطر حل له الأكل والشرب، والوقاع بشرط أن لا ينام، وأن لا يصلى العشاء الأخيرة فإذا فعل أحدهما حرم عليه هذه الأشياء، ثم إن الله تعالى نسخ ذلك بهذه الآية[٢].

وورد فى سبب النزول روايات منها:

ما رواه البخارى بسنده عن البراء ﷺ قال: "كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته، ولا يومه حتى يمسى، وأن قيس بن صرمة الأنصارى كان صائماً، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا. ولكن انطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فجاءته امرأته، فلما رأته قالت خيبة لك، فلما انتصف النهار غشى عليه، فذكر ذلك للنبى ﷺ فنزلت هذه الآية (أحل لكم ... إلى نسائكم) ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت (وكلوا واشربوا ... الأسود من الفجر)[٣].

وفى رواية أبى داود قال: "جاء عمر ﷺ فأراد أهله، فقالت: إنى قد نمت فظن أنها تعتل، فأتها، فلما أصبح نزلت هذه الآية[٤]، ويمكن الجمع بين هذه الروايات أن كل صحابى أخبر بالذى صنع فنزلت هذه الآية بسبب تلك الأحداث.

والظاهر أنه عند فرض الصيام فهم هؤلاء الصحابة حسب اجتهادهم، فرأى البعض أن مباشرة النساء فى الليل بعد النوم، أو بعد صلاة العشاء محرمة عليهم، ورأى آخرون أنه إذا صام فنام قبل أن يفطر يواصل الصيام إلى الغد.

يقول ابن عاشور : "وما شرع الصوم إلا إمساكاً فى النهار دون الليل، فلا أحسب أن الآية إنشاء للإباحة، ولكنها إخبار عن الإباحة المتقررة فى أصل توقيت الصيام بالنهار، والمقصود منها إبطال شئ توهمه بعض المسلمين، وهو أن الأكل بين الليل لا يتجاوز وقتين وقت الإفطار، ووقت السحور، وجعلوا وقت الإفطار هو ما بين المغرب إلى

١- سورة البقرة، آية ١٨٧.

٢- تفسير الرازى، ٥/ ٨٨.

٣- صحيح البخارى، ك، "الصوم" ب قول الله جل ذكره (أحل لكم ليلة الرفث

٤- سنن أبى داود ك "الصلاة" ب كيفية الأذان، أسباب النزول للواحدى، تحقيق/ كمال بسيونى زغلول، طبعة دار الكتب العلمية، ص ٥٤.

العشاء؛ لأنهم كانوا ينامون إثر صلاة العشاء وقيامها، فإذا صلوا العشاء لم يأكلوا إلا أكلة السحور، وأنهم كانوا فى أمر الجماع كشأنهم فى أمر الطعام، وأنهم لما اعتادوا جعل النوم مبدأ وقت الإمساك الليلى ظنوا أن النوم إن حصل فى غير إبانة المعتاد يكون أيضاً مانعاً من الأكل، والجمع إلى وقت السحور، وأن وقت السحور لا يباح فيه إلا الأكل دون الجماع. أ. هـ [١].

فأخبر الله تعالى عن إباحة قربان النساء والأكل فى ليل رمضان، فلو أن الصيام فرض على الناس فى الليل - كما فهمه بعض الصحابة - وهو وقت لا يستطيع الإنسان فيه الاحتراز عن النساء، فيقع فى العنت والمشقة الشديدة، وذلك بخلاف الابتعاد عنهن فى النهار، فمن أجل ذلك أباح لكم مباشرتهن ليلة الصيام.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾؛ أى تنتقصونها بعضاً ما أحل الله لها من اللذات توهماً أن من قبلكم كان كذلك.

أو معناه : تخونوا أنفسكم إذ تعتقدون شيئاً ثم لا تلتزمون العمل به، فإذا كان ذنبهم تحريم ما أباح الله لهم فى ليالى الصوم، أو التورع عنه، فتفسر التوبة بالرجوع عليهم ببيان الرخصة بعد ذكر فرض الصيام مجملاً، ويكون العفو عن الخطأ فى الاجتهاد الذى أدى إلى التضييق على النفس، وإيقاعها فى الحرج.

وإن كان الذنب هو مخالفة الاعتقاد بأن كانوا فهموا تحريم النساء ليلاً مطلقاً، أو تحريمه كالأكل والشرب بعد النوم فى الليل، فالتوبة على ظاهر معناها فالله قد قبل توبتكم، وعفا عن خيانتكم أنفسكم[٢]، وأياً ما كان الأمر فهم محتاجون إلى التوبة والعفو؛ ولذا قال سبحانه: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾.

عفو الله عما سلف:

من المعلوم أنه يحرم الصيد على من كان محرماً، فمن قتل شيئاً من الصيد وهو محرم، أو من كان داخلاً فى الحرم قاصداً قتله فجزاؤه من الأنعام مماثل لما قتله، أو كفارة طعام مساكين، أو ما يعادل ذلك الطعام

١- التحرير والتنوير، ٢/ ١٨١.

٢- انظر تفسير المنار، للأستاذ محمد رشيد رضا خليفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢/ ٠ ٠

من الصيام ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[١]، والعقوبة من أشق الأشياء على النفس سواء كانت مالية أم بدنية، أم نفسية حتى يحترز عن قتل الصيد، وهو محرم أو فى الحرم.

فمن كفر بالتصدق بالجزاء فإن الله تعالى يعفو عنه ما سلف فى المرة الأولى بسبب هذا الجزاء.

ومن عاد إليه ثانية فلا كفارة لجرمه بل ينتقم الله منه، أو المعنى: "عفا الله عما مضى فى الجاهلية، وعما سلف قبل التحريم فى الإسلام"[٢].

ومن منطلق عفو الله تعالى عما صدر من المسلمين قبل نزول القرآن آية الظهار: يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[٣].

وظاهر الآيات أن الظهار أمر اختلقه أهل الجاهلية، ولم ترد مشروعيته قبل ولا بعد الإسلام، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ﴾[٤].

"والمقصود من هذه الآية إبطال تحريم المرأة التى يظاهر منها زوجها، وتحميق أهل الجاهلية الذين جعلوا الظهار محرما على المظاهر زوجه التى ظاهر منها وجعل الله الكفارة فدية لذلك، وزجرا ليكف الناس عن هذا القول"[٥].

والله تعالى لا يؤاخذهم بما وقع منهم من الظهار قبل نزول هذه الآية؛ لأنه عفو غفور.

وفى آية أخرى يمتن الله تعالى على عباده المؤمنين بعفوه عنهم، وذلك فى معرض نهيهم عن سؤالهم ما لا خير فيه من التكاليف الشاقة،

١- سورة المائدة، آية ٩٥.
٢- تفسير الرازى، ١٢/٨٠.
٣- سورة المجادلة آية ٢.
٤- سورة الأحزاب، آية ٤.
٥- التحرير والتنوير، ١٥/٢٨.

والأمور الخفية التى تسؤهم إذا ظهرت لهم. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[١].

"فكما أن السؤال عن الأمور الواقعة مستتبع لإبدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لإيجابها عليهم بطريق التشديد؛ لإساءتهم الأدب، وتركهم ما هو الأولى بهم من الاستسلام؛ لأمر الله تعالى من غير بحث فيه، ولا تعرض لكيفيته، وكميته"[٢].

ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة ﷺ قال: "خطبنا رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس قد فرض الله تعالى عليكم الحج فحجوا. فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا. فقال رسول الله ﷺ : لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال: ذرونى ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه"[٣].

وأخرج مسلم بسنده عن أنس بن مالك أن الناس سألوا نبى الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة فخرج ذات يوم فصعد المنبر، فقال: سلونى لا تسألونى عن شئ إلا بينته لكم، فلما سمع ذلك القوم أرموا ورهبوا أن يكون بين يدى أمر قد حضر. قال أنس: فجعلت ألتفت يميناً وشمالاً فإذا كل رجل لاف رأسه فى ثوبه يبكى فأنشأ رجل من المسجد كان يلاحى فيدعى لغير أبيه، فقال: يا نبى الله من أبى؟ قال أبوك حذافة، ثم أنشأ عمر ان الخطاب ﷺ فقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولاً عائذاً بالله من سوء الفتن. فقال رسول الله ﷺ : لم أر كاليوم قط فى الخير، والشر إنى صورت لى الجنة، والنار فرأيتهما دون هذا الحائط[٤].

١- سورة المائدة، آية ١٠١.
٢- روح المعانى ٧/ ٣٩.
٣- صحيح مسلم، ك "الحج"، ب، فرض الحج مرة فى العمر، النووى شرح مسلم، المطبعة المصرية، ٩/١٠٠.
٤- البخارى، ك "الصلاة"، ب وقت الظهر عند الزوال، مسلم، ك "الفضائل"، ب، توقيره ﷺ.

فعفا الله تعالى عن مسألتهم السالفة حيث لم يفرض عليهم الحج فى كل عام جزاءً لسؤالهم، "أو تجاوزاً عن عقوبتكم الأخروية بسبب للتجاوز عن العقوبة الدنيوية والعقوبة الأخروية"[١].

عفو الله عن طائفة من المنافقين

ورد ذلك فى معرض حديث القرآن الكريم عن سلوك المنافقين، فكانوا يتحدثون فى خلواتهم كما ورد فى قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**﴾[٣]، وكشف الله أمر استهزائهم وأتبعه بذكر عدم الجدوى من اعتذارهم؛ لأنهم قد التبسوا بما هو أقطع مما اعتذروا عنه، وهو كفرهم بعد إظهارهم الإيمان، قال تعالى: ﴿**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾[٤].

فالبشارة لهم مشوبة بالنذارة، فأخبرهم سبحانه أن طائفة منهم مرجوة الإيمان يعفو عما قدمته من النفاق، والأخرى تصر على نفاقها حتى الموت فمصيرها النار.

فاقترفت أحوالهم بين عفو وعذاب، فيعفى عن الأولى إذا طلبت سبب العفو بإخلاص الإيمان، والأخرى تبقى إذا طلبت سبب العفو بإخلاص الإيمان، والأخرى تبقى فى حالة العذاب، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿**فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾[٥]، وممن آمن منهم بعد نزول الآية: مخشى بن حمير الأشجعى: "ذكر المفسرون أنه لما سمع هذه الآية تاب من النفاق، وحسن إسلامه، فعد من الصحابة، وقد جاهد يوم اليمامة، واستشهد فيه"[٦].

١- روح المعانى، ٧/ ٤٠.
٢- سورة البقرة، آية ١٤.
٣- سورة التوبة، آية: ٦٥.
٤- سورة التوبة، آية ٦٥ – ٦٦.
٥- سورة التوبة، آية ٧٤.
٦- التحرير والتنوير، ١٠/٢٥٣.

عبدة العجل بين جرائمهم وعفو الله بهم

أظهر الله تعالى على يد سيدنا موسى عليه السلام الآيات البينات؛ لكن لم تلمس تلك الآيات شغاف قلوب بنى إسرائيل، وتقودها إلى الإذعان لله، فإذا هم يطلبون – تعنتاً – رؤية الله تعالى – عياناً.

قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ**﴾[١]، ولكن الله تعالى تقبل دعاء سيدنا موسى عليه السلام كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ**﴾[٢].

ولم يردعهم ذلك فاتخذوا العجل إلهاً من بعد ما جاءتهم المعجزات الدالة على وحدانية الله تعالى، ومع ذلك عفا الله تعالى عنهم، قال سبحانه: ﴿**ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا**﴾[٣].

ويذكر الله تعالى أبناءهم بنعمة عفوه عن أسلافهم، والنعمة على السلف نعمة على الخلف، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[٤]، "فإن العفو عن الآباء منة عليهم، وعلى أبنائهم يجب على الأبناء الشكر عليه"[٥].

لكن النعمة الإلهية والعفو عنهم لا يغير من طبيعتهم القاسية التى لا تؤمن إلا بالمحسوس، مستمرة فى جدالها، بطرة عند النعمة والقوة، مستذلة عند وقوع العذاب، ولا يصلح معهم إلا القهر.

النوع الثانى: عفو الرسول عن العباد

مدح الله تعالى أنبياءه ورسله ببعض مكارم الأخلاق، ومن ذلك: قوله تعالى عن سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿**إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا**

١- سورة النساء، آية ١٥٣.
٢- سورة الأعراف آية ١٥٥از
٣- سورة النساء آية ١٥٣.
٤- سورة البقرة، آية ٥١ – ٥٢.
٥- التحرير والتنوير، ١/ ٤٩٦.

شَكُوراً﴾[١]، وقال عن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾[٢]، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[٣].

وقال عن أيوب عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٤]، وقال عن داود عليه الصلاة والسلام: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٥]، وعن سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[٦]، وغير ذلك، وجمع الله تعالى فى رسوله محمد ﷺ هذه الخصال ومكارم الفعال، وليس هناك خلق محمود إلا وللرسول ﷺ النصيب الأكبر، والحظ الأوفر منه، ولا غرو فقد وصفه ربه فى كتابه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٧].

وحينما سئلت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن خلقه أجابت بقولها: "كان خلقه القرآن"[٨]، حقاً فإنه ﷺ كان مؤدباً بآداب القرآن الكريم مؤتمراً بأمره منتهياً بنهيه، متخلقاً بأخلاقه مهتدياً بنوره.

وسيرته ﷺ مشرقة بمواقفه التى لا تحصى، وسأختار منها قبساً من ذلك، وهو عفوه ﷺ عن العباد ويشمل عفوه عن المسلمين، وعن غير المسلمين.

وعفوه ﷺ عن غير المسلمين كان تأليفاً وجمعاً لقلوبهم على الحق، ولعل الله تعالى يهديهم للإسلام، لكن اليهود نقضوا ميثاقهم مع الله تعالى، وقتلوا أنبياءهم، وحرفوا كتبهم، ونسوا شرائعها، وكتموا الحق، ولم يؤمنوا برسول الله ﷺ مع دعوة الله لهم إلى الإيمان به، فقال سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ

١- سورة الإسراء، آية ٣.
٢- سورة هود، آية ٧٥.
٣- سورة التوبة، آية ١١٤.
٤- سورة ص، آية ٤٤.
٥- سورة ص، آية ١٧.
٦- سورة ص، آية ٢٠.
٧- سورة القلم آية ٤.
٨- صحيح مسلم، ك "صلاة المسافرين"، ب، جامع صلاة الليل، وأبو داود فى ك "التطوع" ب، فى صلاة الليل، والدارمى فى ك "الصلاة"، ب صفة صلاة رسول الله ﷺ.

الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[١]

فوصف الرسول ﷺ بأمرين الأول: يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب.

قال ابن عباس: أخفوا صفة محمد ﷺ وأخفوا الرجم"[٢]، كما أخفوا خبر بعثته.

الثانى: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ مما أخفوه، أو حرفوه فلا يظهره، وإنما لم يظهره؛ لأنه لا حاجة إلى إظهاره فى الدين، والفائدة فى ذكر ذلك انهم يعلمون كون الرسول عالماً بكل ما يخفونه، فيصير ذلك داعياً لهم إلى ترك الإخفاء لئلا يفتضحوا"[٣]، وفى آية أخرى يصور القرآن الكريم حالهم حينما كانوا فى المجتمع المدنى، فهم دائمو الخيانة للرسول ﷺ طوال إقامتهم معه، بل فى الأرض كلها ومازال هذا حالهم فى المجتمعات على مر العصور والدهور.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٤].

ووجه الله تعالى نبيه ﷺ وقت نزول الآية ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

عن الحسن : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ إذا تابوا أو بذلوا الجزية، واختاره الطبرى، وعلى ذلك فالآية محكمة[٥].

وعن قتادة: أن الآية منسوخة بقوله: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[١].

١- سورة المائدة، آية: ١٥.
٢- تفسير الرازى، ١١/ ١٥٠.
٣- المرجع السابق.
٤- سورة المائدة، آية ١٣.
٥- روح المعانى، ٦/ ٩٠.

وجاء وقت ليس فيه للعفو والصفح عنهم جدوى، فأجلى الرسول ﷺ بعضهم من المدينة كما حدث لبنى النضير بعد غزوة بنى النضير، وقتل البعض الآخر مثل ما حدث لبنى قريظة.

عفو الرسول عن المؤمنين

يوجه الله تعالى نبيه محمد ﷺ، ويدعوه إلى العفو والسماحة، واليسر، والأمر بالخير والإعراض عن الجاهلية فقال سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٢].

قال على بن طلحة عن ابن عباس قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ يعنى خذ ما عفى لك من أموالهم، وما أتوك به من شئ فخذه، وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات، وتفصيلها وما انتهت إليه الصدقات. قاله السدى.

وقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ أنفق الفضل، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ أنفق الفضل، وقال غير واحد عن مجاهد فى قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ قال من أخلاق الناس، وأعمالهم من غير تجسس[٣].

وروى البخارى بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: "أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس"[٤]، وفى رواية سعيد بن منصور لسنده عن ابن الزبير: "خذ العفو قال من أخلاق الناس، والله لآخذته منهم ما صحبتهم، وهذا أشهر الأقوال[٥].

وروى الطبرى مرسلا وابن مردويه موصولاً من حديث أمى بن ربيعة لما نزلت ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ سأل جبريل، فقال لا أعلم حتى

١- انظر الناسخ والمنسوخ، لأبى جعفر النحاس، تحقيق د/ شعبان محمد إسماعيل، طبعة مكتبة عالم الفكر بالقاهرة، ص ١٥١، والآية ٢٩ من سورة التوبة.

سورة الأعراف، آية ١٩٩.

٣- تفسير ابن كثير، ٢/ ٢٧٧.

٤- صحيح البخارى، ك "التفسير"، ب خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين.

٥- فتح البارى، ٨/١٥٦، فتح القدير، ٢/٢٨١.

أسأله، ثم رجع فقال: "إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعفو عن ظلمك"[١].

وهذا من سمات الشريعة السمحة، فيأخذ الميسر من أخلاق الناس فى المعاملة، ولا يكلفهم ما لا يطيقون من الأخلاق، ويعفو عن أخطائهم، وبذلك تسير الحياة سهلة يسيرة، والتعامل مع البشر لهدايتهم إلى الحق، ورد الشارد إلى الطريق المستقيم يقتضى السماحة، وسعة الصدر، فتلتقى النفوس الزكية على الخير والمعروف من طاعة الله والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس.

وأعرض عن الجاهلين : "إذا أقيمت الحجة فى أمرهم بالمعروف فلم يفعلوا، فأعرض عنهم، ولا تمارهم، ولا تسافههم مكافأة لما يصدر منهم من المراء، والسفاهة"[٢].

وكان ﷺ عظيم الخلق لين الجانب، قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٦].

وذلك أن المسلمين لما انهزموا يوم أحد ورجع ثلث الجيش قبل القتال، وضعف البعض أمام إغراء الغنيمة، ووهنوا لما وهنوا لما أصابهم، ولما أشيع بينهم من قتله ﷺ ، وتركه فى نفر قليل ترس نفسه عنه ﷺ ، وهنا يتوجه إليه القرآن ليثلج صدره، ويطيب قلبه، وإلى الصحابة مشعرا إياهم بنعمة الله عليهم، مذكرا لهم تلك الرحمة العظيمة الكائنة من الله

١- الفتح، ٨/١٥٦، فتح القدير، ٢/ ٢٨١، ابن كثير، ٢/ ٢٧٨، تفسير ابن جرير، ١٣/ ٣٣٠ تحقيق الشيخ محمود شاكر.

٢- فتح القدير، ٢/ ٢٧٩.

٣- سورة الشعراء، آية ٢١٥.

٤- سورة القلم، آية ٤.

٥- سورة التوبة، آية ١٢٨.

٦- سورة آل عمران، آية ١٥٩.

تعالى، فلان لهم الرسول ﷺ بمشيئته تعالى، وتكوينه له رحيما، قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[١].

يقول صاحب الظلال: فهى رحمة الله التى نالته ونالتهم، فجلعته ﷺ رحيما بهم، لينا معهم، ولو كان فظا غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب، ولا تجمعت حوله المشاعر، فالناس فى حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم فى حاجة إلى قلب كبير يعطيهم، ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همومهم، ولا يعنيهم بهمة، ويجدونه عنده دائم الاهتمام والرعاية، والعطف والسماحة والود والرضا. أ. هـ[٢].

وهكذا كان النبى ﷺ مفطورا على الرحمة، ما غضب لنفسه قط، ولا ضاف بهم ذرعا، بل وسعهم حلمه، وشملهم عفوه.

روى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن هذه الآية التى فى القرآن: يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا للأميين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو، ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا"[٣].

وكان عفوه وصفحه ﷺ عمن آذاه سببا لدخول كثير الإسلام، ومن ذلك:

١- عفوه عن أهل مكة يوم الفتح:

فتح الله تعالى مكة على يد رسول الله ﷺ، ودخلها منتصرا بعد أن أخرج منها، وظن المشركون يوم الفتح فى بادئ الأمر أنه سينتقم منهم، ولكن ماذا كان موقف الرسول ﷺ؟

يتجلى ذلك عندما قال لهم رسول الله ﷺ عند دخوله المسجد الحرام: يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظيمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا

١- سورة الأنبياء، آية ١٠٧.

٢- فى ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب، طبعة دار الشروق، ١/ ٥٠٠ - ٥٠١.

٣- صحيح البخارى، ك "التفسير"، ب إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، الأدب المفرد، ب "الانبساط للناس، مطبعة الآداب بالقاهرة، ص ٧٧.

خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١].

يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال: فإنى أقول لكم كما قال يوسف لأخوته لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء[٢].

وروى البخارى بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه وهو يتحدث عن فتح مكة فقال سعد بن عبادة يا أبا سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة ... فلما مر رسول الله ﷺ بأبى سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال: ما قال؟ قال كذا وكذا. فقال: كذب سعد[٣]، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة[٤].

٢- عفوه عن غورث بن الحارث عند سقط السيف من يده

روى الإمام البخارى بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما "أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة فى وادٍ كثير العضاة، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس فى العفاة، يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله صلى عليه وسلم تحت شجرة فعلق بها سيفه، قال جابر فنمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئناه، فإذا عنده أعرابى جالس، فقال رسول الله ﷺ : إن هذا اخترط سيفى، وأنا نائم، فاستيقظت وهو فى يده صلتا، فقال لى: من يمنعك منى؟ قلتك: الله. فها هو ذا جالس. ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ[٥].

٣- عفوه عن اليهودية التى سمته فى خيبر:

روى أبو داود بسنده عن أنس بن مالك ﷺ أن امرأة يهودية أتت الرسول ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها فجئ بها إلى رسول الله ﷺ ، فسألها عن ذلك فقالت: أردت لأقتلك، فقال: "ما كان الله ليسلطك على ذلك"، أو

١- سورة الحجرات، آية ١٣.

٢- زاد المعاد، لابن القيم، المطبعة المصرية، ٢/ ١٦٥، سيرة ابن هشام، طبعة المكتبة التوفيقية، ٤/ ٢٢.

٣- أى أخطأ سعد.

٤- صحيح البخارى، ك "المغازى"، ب أن ركز النبى ﷺ الراية يوم الفتح.

٥- صحيح البخارى، ك "المغازى"، ب غزوة ذات الرقاع.

قال: "علىّ" قال. فقالوا: ألا تقتلها؟ قال: "لا". فمازلت أعرفها فى لهوات رسول الله ﷺ[١].

وروى أبو داود بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يحدث: أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية، ثم أهدتها لرسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراع، فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال رسول الله ﷺ : "ارفعوا أيديكم"، وأرسل رسول الله ﷺ لليهودية فدعاها، فقال لها: أسممت هذه الشاة؟ قالت اليهودية: من أخبرك؟ قال: أخبرتنى هذه فى يدى للذراع، قالت: نعم، قال: فما أردت إلى ذلك؟ قالت: قلت: إن كان نبياً فلن يضره، وإن لم يكن استرحنا منه، فعفا عنها رسول الله ﷺ، ولم يعاقبها، وتوفى بعض أصحابه الذين أكلوا الشاة، واحتجم رسول الله ﷺ على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة...[٢].

وعن أبى سلمة أن رسول الله ﷺ أهدت إليه يهودية بخيبر شاة مصلية، نحو حديث جابر، قال: فمات بشر بن البراء بن معرور الأنصارى، فأرسل إلى اليهودية... فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت[٣].

قال ابن القيم: وقد وفق بين الروايتين إنه لم يقتلها أولاً فلما مات بشر قتلها[٤].

٤- عفوه عن لبيد بن الأعصم

لم يؤاخذ النبى ﷺ لبيد بن الأعصم اليهودى الذى سحر النبى ﷺ، وأوحى إليه بأمره، روى الإمام البخارى بسنده عن عائشة قالت: سحر النبى ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أن يفعل الشئ وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندى دعا الله ودعاه ثم قال: أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتانى فيما استفتيته فيه؟ قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: جاءنى رجلان، فجلس أحدهما عند رأسى، والآخر عند رجلى، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودى من بنى رزيق. قال: فبماذا؟ قال: فى مشط ومشاطة، وجف طلعة ذكر. قال: فأين هو؟ قال: فى بئر ذى أروان. قال: فذهب النبى ﷺ فى أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها، وعليها نخل ثم رجع إلى عائشة فقال: والله

١- سنن أبى داود، ك "الديات" ب فيمن سقى رجلا سما، رقم (٤٥٠٨).
٢- سنن أبى داود، ك "الديات"، رقم (٤٥١٠).
٣- سنن أبى داود، ك "الديات"، رقم (٤٥١١).
٤- زاد المعاد، ٢/ ١٤٠.

لكأن ماءها نقاعة حناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين. قلت: يا رسول الله أفأخرجته؟ قال: لا، أما أنا فقد عافانى الله، وشفانى، وخشيت أن أثور على الناس منه شراً، وأمر بها فدفنت[١].

وعفا الرسول ﷺ عنه فلم يقتله حتى لا يثير بقتله فتنة، أو لكى لا ينفر الناس عن الدخول فى الإسلام.

عفوه عن بعض المشركين يوم الحديبية

روى الإمام مسلم، وغيره عن أنس قال: لما كان يوم الحديبية، هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلاً من أهل مكة فى السلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غزوة رسول الله، فدعا عليهم فأخذوا فعفا عنهم، فنزلت هذه الآية : ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾[٢].

عفوه عن عبد الله بن أبى رأس المنافقين

عفا رسول الله ﷺ عنه على الرغم مما قام به فى المدينة من سب للرسول ﷺ، وبث روح الضعف بين المسلمين.

روى الإمام البخارى بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: كنا فى غزاة - قال سفيان بن مرة فى جيش - فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصارى: يا للأنصار، وقال المهاجرى: يا للمهاجرين، فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال: ما بال دعوى الجاهلية؟ قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال: دعوها فإنها مفتنة. فسمع بذلك عبد الله بن أبى فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فبلغ النبى ﷺ فقام عمر فقال: يا رسول الله دعنى اضرب عنق هذا المنافق، فقال النبى ﷺ : دعه. لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، وكانت

١- صحيح البخارى، ك "الطب"، ب السحر.
٢- صحيح مسلم ك "الجهاد والسير"، ب قوله تعالى: (وهو الذى كف أيديهم عنكم)، مسند أحمد ٣/١٢٢، الترمذى ك "التفسير" تفسير سورة الفتح، التفسير الوسيط الواحدى، دار الكتب العلمية، تحقيق د/ أحمد الجمل، وآخرين، ٤/١٤٢، ١٤٣.

الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كثروا بعد[١].

يقول الحافظ بن حجر معلقاً على هذا الحديث: "قوله فعلوها؟ هو استفهام بحذف الأداة أى افعلوها؟ أى الأثرة، أى شاركونا هم فيما نحن فيه، فأرادوا الاستبداد به علينا، وفى مرسل قتادة: "فقال رجل منهم عظيم النفاق: ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: "سمن كلبك يأكلك"، وعند ابن إسحق: فقال عبد الله بن أبى : أقد فعلوها؟ نافرونا وكاثرونا فى بلادنا، والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: "سمن كلبك يأكلك".

قوله "دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه"؛ أى: أتباعه، وفى مرسل قتادة: فقال: لا والله لا يتحدث الناس زاد ابن إسحاق: "فقال مر به معاذ بن بشر بن وقش فليقتله، فقال: لا ولكن أذن بالرحيل، فراح فى ساعة ما كان يرحل فيها، فلقيه أسيد بن حضير، فسأله عن ذلك فأخذه فقال: فأنت يا رسول الله الأعز، وهو الأذل. قال وبلغ عبد الله[٢] بن عبد الله بن أبى ما كان من أمر أبيه فأتى النبى ﷺ فقال: بلغنى أنك تريد قتل أبى فيما بلغك عنه فإن كنت لابد فاعلاً فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه، فقال: بل ترفق به، وتحسن صحبته، قال فكان بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين ينكرون عليه. فقال النبى ﷺ لعمر: كيف ترى. "ووقع فى مرسل عكرمة عند الطبرى"، أن عبد الله بن أبى قال للنبى ﷺ : إن والدى يؤذى الله ورسوله، فأذنى حتى أقتله. قال: لا تقتل أباك[٣].

فعفا الرسول ﷺ عنه، وأمر ابنه أن يرفق به، ويحسن صحبته.

٦- عفوه عن ثمامة بن أثال الحنفى

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة ﷺ قال: "بعث النبى ﷺ خيلا قبل نجد - فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سوارى المسجد، فخرج غليه النبى ﷺ فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندى خير يا محمد إن تقتلنى تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر. فتركه حتى

١- صحيح البخارى، ك "التفسير"، ب قوله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم.

٢- عبد الله الابن صحابى جليل.

٣- فتح البارى، نشر دار الريان للتراث، ٨/ ٥١٨.

كان بعد الغد، فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندى ما قلت لك. فقال أطلقوا ثمامة. فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلىّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلىّ، والله ما كان من دين أبغض إلىّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلى، والله ما كان بلد أبغض إلى من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلى، وإن خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فما ذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر. فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا والله، ولكن أسلمت مع محمد ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حتى يأذن فيها النبى ﷺ[١].

وقوله: ماذا عندك يا ثمامة: "أى أى شئ عندك، أو ما الذى استقر فى ظنك أنى فاعل بك".

فقال: "عندى خير"؛ لأنك يا رسول الله لست ممن يظلم بل ممن يحسن ويعفو.

وفى رواية ابن إسحاق: "قال قد عفوت عنك يا ثمامة، وأعتقتك"[٢]، وفى هذا إشارة إلى عظم العفو عن المسئ.

ويقسم ثمامة فى الحديث "والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلىّ.

فبغضه لرسول الله ﷺ تبدل حباً، وذلك لما تفضل به عليه النبى ﷺ من العفو والإحسان.

وقال ثمامة فى ردة بنى حنيفة شعراً يذكر فيه عفو النبى ﷺ.

أهم بترك القول ثم يردنى ... إلى القول إنعام النبى محمد

شكرت له فكى من الغل بعدما ... رأيت خيولاً من حسام مهند[٣]

١- صحيح البخارى، ك "المغازى"، ب وفد بنى حنيفة.

٢- فتح البارى، ٧/ ٦٨٩.

٣- الإصابة فى تمييز الصحابة، لحافظ بن حجر، تحقيق الأستاذ محمد فواد عبد الباقى، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٧- عفو عن قاتل حمزة:

أخرج البخارى بسنده عن عبيد الله بن عدى عن وحشى بن حرب، وهو يحكى قتله لحمزة. قال عبيد الله بن عدى لوحشى: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال: نعم، إن حمزة قتل طعيمة بن عدى بن الخيار ببدر، فقال لى مولاى، جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمى فأنت حر.

قال: فلما خرج الناس عام عينين - وعينين جبل بجبال أحد بينه، وبين واد - خرجت مع الناس إلى القتال، فلما اصطفوا للقتال خرج سباع. فقال: هل من مبارز، قال: فخرج إليه حمزة بن المطلب. فقال: يا سباع. يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، أتحاد الله ورسوله ﷺ؟ قال: ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب. قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا منى رميته بحربتى فأضعها فى ثنته حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذلك العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم. فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسلا، فقيل لى إنه لا يهيج الرسل، قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ، فلما رأنى قال: أنت وحشى. قلت: نعم. قال: أنت قتلت حمزة؟ قلت قد كان من الأمر ما بلغك. قال: فهل تستطيع أن تغيب وجهك عنى؟ قال فخرجت، فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب لأخرجن إلى مسيلمة لعلى أقتله فأكافئ به حمزة. قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان. قال: فإذا رجل قائم فى ثلمة جدار كأنه جمل أورق، ثائر الرأس، قال: فرميته بحربتى. فأضعها بين ثديه حتى خرجت بين كتفيه، قال: فوثب رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته[1].

ومع شدة حزن الرسول ﷺ وقد وجده يوم أحد قد بقر بطنه، ومثل به فجدع أنفه إلا أنه لم ينتقم من وحشى بل عفا عنه، وعن ابن إسحاق قال: "قيل لرسول الله ﷺ هذا وحشى. فقال: دعوه، فلإسلام رجل واحد أحب إلى من قتل ألف كافر"[2].

النوع الثالث: عفو العباد بعضهم عن بعض

الإسلام دين الفضائل والقيم العالية، والأخلاق النبيلة، ومنها العفو، وحقيقته: أن يصفح الإنسان عمن أساء إليه مع القدرة على عقابه، وهو صفة تدل على سمو النفس، وطهارة القلب، ونقاء السريرة، والقدرة على

١- صحيح البخارى، ك "المغازى"، ب قتل حمزة.

٢- فتح البارى، ٧/ ٤٢٨.

التحكم فى النفس البشرية التى تميل بطبيعتها إلى حب الانتقام ومقابلة السيئة بمثلها والمعفو عنه إذا كان يصلحه العفو، ويغرس فى نفسه أثرا حسناً، أو كان التقصير قد وقع خطأ، أو نسياناً، فإن العفو فى هذه الحالة يكون حسناً.

أما إذا كان الذنب الذى حدث يوجب حداً من حدود الله، أو كان باعثاً على ارتكاب المعاصى والجرائم، فإن العفو لا يجوز فى تلك الحالة، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[1].

هذا وسأتحدث عن العفو بين المسلم وأزواجه وذوى القربى، والنفس الإنسانية بين الانتصار والعفو، وعفو ولى الدم عن القاتل، العفو بين الزوج ومطلقته، وحرمان اليهود من عفو المؤمنين، جزاء العافين عن الناس.

عفو المسلم عن أزواجه وذوى القربى

العفو من خير ما تحلى به الفضلاء، وأفضل ما تجمل به الأتقياء المتمسكين بآداب دينهم، لكن قد يحدث هناك بعض الاعتداءات من قبل الآخرين على المرء، ويكون الأمر أشق عليه إذا كان الأذى صادراً من ألصق الناس به، وأقربهم إليه.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2]، فبعض الأزواج يعادين بعولتهن، ويخاصمنهم، ومن الأولاد من يفعل مثل ذلك، فيأمر الله تعالى الأزواج أن يكونوا على حذر منهم.

والذنوب التى يفعلها هؤلاء إما متعلقة بأمر من أمور الدنيا، أو أمور الدين، ثم تابوا منها، فحث القرآن على العفو عنها والإعراض عن التأنيب عليها، وإخفائها وسترها.

فإذا فعلوا ذلك عاملهم الله عز وجل بمثل ذلك؛ لأنه غفور رحيم.

هذا وقد ورد فى سبب نزول هذه الآية ما أخرجه الترمذى، وغيره عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾

١- سورة النور، آية ٢.

٢- سورة التغابن، آية ١٤.

إلخ فى قوم من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يأتوا النبى ﷺ فأبى أزواجهم، وأولادهم أن يدعوهم فلما أتوا رسول الله ﷺ فرأوا الناس قد فقهوا فى الدين هموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى الآية[١].

وقال غير واحد: "إن عداوتهم من حيث إنهم يحولون بينهم وبين الطاعات والأمور النافعة لهم فى آخرتهم، وقد يحملونهم على السعى فى اكتساب الحرام، وارتكاب الآثام[٢].

وعلى ذكر العفو والغفران تجئ الدعوة إلى العفو والصفح عن أولى القربى، كما يرجى غفران الله تعالى لما يقع من ذنوب.

قال تعالى: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُواْ أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق ﷺ بعد نزول القرآن الكريم ببراءة الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها من الإفك، وقد عرف أبو بكر الصديق ﷺ أن مسطح ابن أثاثة ممن خاضوا فيه، وهو قريب له، ومن فقراء المهاجرين، وكان أبو بكر ينفق عليه، فآلى على نفسه أن لا يصله بنفقة.

روى الإمام مسلم بسنده عن عائشة أنها قالت: "إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم" أربعة: حسان بن ثابت، وعبد الله بن أبى، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش[٤].

وفيما رواه البخارى بسنده عن عائشة: فلما أنزل الله هذه الآيات فى براءتى[٥] قال أبو بكر الصديق، وكان ينفق على مسطح؛ لقرابته وفقره والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذى قال لعائشة ما قال، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللّهُ

١- سنن الترمذى ك "التفسير" ب، ومن سورة التغابن ، وقال حسن صحيح، وتفسير ابن جرير ٢٨/ ١٢٤، طبعة الحلبى، زاد المسير لابن الجوزى، طبعة المكتب الإسلامى، ٨/٢٨٤، تفسير القاسمى، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٦/١٨٥، وأورد السيوطى فى الدرر المنثور، نشر دار المعرفة لبنان، ٦/ ٢٢٨.

٢- روح المعانى، ٢٨/ ١٢٦.

٣- سورة النور، آية ٢٢.

٤- صحيح مسلم، ك "التوبة" ب حديث الإفك.

٥- العشر آيات من سورة النور من الآية ١١ – ٢١.

لَكُمْ﴾، قال أبو بكر، والله إنى لأحب أن يغفر الله لى فرجع إلى مسطح بالنفقة التى كان ينفق عليه، وقال لا أنزعها منه أبداً[١].

وفى هذا تذكير للمسلمين بأنهم جميعاً يخطئون، ثم يرجون من الله المغفرة، فليكونوا جميعاً – الغنى مع الفقير، القوى مع الضعيف، الخادم مع المخدوم ... – بهذا الذى يرجون، ولا يحلفون نتيجة لشدة غضبهم وآلامهم أن يمنعوا الخير والبر عن الفقراء إن وقعت منهم بعض الأخطاء، فمن منا لا يخطئ، ومن من الناس حدث له مثل ما حدث لأبى بكر الصديق الذى احتمل مرارة الاتهام لبيت رسول الله وبيته وعرضه، فما يكاد يسمع دعوة ربه إلى العفو، وما يكاد يلمس وجدانه ذلك السؤال الموحى: ﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ﴾؟ حتى يرتفع على الآلام، ويرتفع على مشاعر الإنسان، ويرتفع على منطق البيئة، وحتى تشف روحه وترف، وتشرق بنور الله، فإذا هو يلبى داعى الله فى طمأنينة، وصدق يقول: بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى.

ويعيد إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه، ويحلف: والله لا أنزعها منه أبداً. ذلك فى مقابل ما حلف: والله لا أنفعه بنافعة أبداً[٢].

النفس الإنسانية بين الانتصار والعفو

يوجه الله النفس الإنسانية التى ظلمت، وهى قادرة على الانتصاف من الظالم، ودفع العدوان إلى العفو والصفح، يقول الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً﴾[٣].

ويقول سبحانه: ﴿وَجَزَآءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[٤].

ومما لا شك فيه أن الإنسان يؤلمه؛ أى هجوم أو انتقاص، لشخصه، أو لذويه، وإذا تهيأت أسباب المجازاة وظروفها سارع إليها ﴿وَجَزَآءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾.

١- صحيح البخارى، ك "التفسير" سورة النور.

٢- انظر فى ظلال القرآن، ٤/ ٢٥٠٥.

٣- سورة النساء، آية ١٤٩.

٤- سورة الشورى، آية ٤٠.

فالذى يجزى السيئة بالسيئة ولا يعتدى ليس عليه إثم؛ لأنه راعى المماثلة، وهو العدل، ومع ذلك فقد استحب العفو ابتغاء مرضاة الله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾[1].

روى ابن أبى حاتم بسنده عن عبد الصمد بن يزيد خادم الفضيل بن عياض قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلا فقل: يا أخى اعف عنه، فإن العفو أقرب للتقوى، فإن قال لا يحتمل قلبى العفو، ولكن انتصر كما أمرنى الله عز وجل، فقل له: إن كنت تحسن أن تنتصر، وإلا فأرجع إلى باب العفو، فإنه باب واسع فإنه من عفا، وأصلح فأجره على الله، وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل، وصاحب الانتصار يقلب الأمور[2].

وروى الإمام البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر، ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخى لك وجه عند هذا الأمير، فستأذن لى عليه، قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هى يا ابن الخطاب، فو الله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين: إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله[3].

وكان غضب عمر لسب الرجل إياه دون سبب، وقد طلب منه عطاء جزلا بغير حق، ولما علم عمر بأن الرجل من الجاهلين عفا عنه.

وهذا المسلك أفضل وأرضى لله تعالى، فأمسك يده فلم يقتص منه، وكظم غيظه فلم يتضجر.

عفو ولى الدم عن القاتل:

بعد بيان الله تعالى بعض الأحكام الشرعية لتجنب ما حدث من المحاذين بقواعد الدين التى يكون عليها أمر الدنيا والدين.

١- سورة فصلت، آية ٣٤.

٢- تفسير ابن كثير، ٤/ ١١٩.

٣- صحيح البخارى، ك "التفسير"، ب خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، الفتح، ٨/ ١٥٥.

وهذا البيان الذى ذكره الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

فعقوبة القتل العمد القصاص، وقد فتح الله تعالى لولى الدم باب العفو فتحاً لباب التسامح بين المؤمنين، ورحمة من الله بعباده، وهذا العفو يكون بأخذ أولياء الدم الدية بدلاً من قتل الجانى، والمعروف كما يجب على الجانى، أو أوليائه أن يؤدوا الدية بإحسان دون تأخير، أو نقصان حتى تلتئم الجراح، وتصفو النفوس، ويتصل حبل الود بين الأحياء.

يقول الألوسى عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾، والمراد وصية العافى بأن لا يشدد فى طلب الدية على المعفو له، وينظره إن كان معسراً، ولا يطالبه بالزيادة عليها، والمعفو بأن لا يمطل العافى فيها، ولا يبخس منها، ويدفعها عند الإمكان، وإلى هذا ذهب ابن عباس ﷺ والحسن وقتادة ومجاهد. أ. هـ[2].

﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ ففى هذا الحكم تخفيف من ربكم؛ لأن فى تشريعه سبحانه العفو تسهيلاً على القاتل، واستبقاءً لحياته، وفى تشريعه الدية فائدة لأولياء المقتول، إذ إنهم ينتفعون بالدية.

روى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما: "كان فى بنى إسرائيل القصاص، ولم تكن فيهم الدية، فقال الله تعالى لهذه الأمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾، فالعفو أن يقبل الدية فى العمد ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ يتبع بالمعروف ويؤدى بإحسان ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ مما كتب على من كان قبلكم، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قتل بعد قبوله الدية[3].

١- سورة البقرة، آية ١٧٨.

٢- روح المعانى ٢/ ٥٠.

٣- صحيح البخارى، ك "التفسير"، ب يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى.

وعن قتادة: أن الحكم عند أهل التوراة كان القصاص، أو العفو، ولا أرش بينهم، وعند أهل الإنجيل العفو إنما هو العفو أمروا به، وجعل الله لهذه الأمة القتل والعفو والدية؛ تيسيراً عليهم[١].

العفو بين الزوج ومطلقته

يبين القرآن حكم المطلقة قبل الدخول، ولم يكن قد فرض مهر معلوم، فالواجب على الزوج المطلق أن يمتعها.

أما إذا فرض لها مهراً معلوماً فيجب لها نصف المهر المعلوم.

يقول الله تعالى: ﴿لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢].

قال ابن عباس فى هذه الآية : لها نصف صداقها ليس لها أكثر من ذلك[٣].

﴿إِلاَّ أَن يَعْفُونَ﴾؛ أى: النساء يتركن ذلك النصف الواجب لهن فلا يطالبن به أزواجهن.

﴿أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾، يعنى الزوج فى قول على ومجاهد والضحاك والحسن ومقاتل بن حيان، وابن سرين، وشريح، وابن عباس فى رواية عمار بن أبى عمار وهو ظاهر مذهب الإمام أحمد[٤].

وعفو الزوج: أن يعطيها الصداق كاملا.

وقيل المراد بقوله ﴿أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ الولى حكى عن ابن عباس، وعلقمة، والحسن، وطاوس، والزهرى، وربيعة، ومالك، وهو قول الشافعى فى القديم إذا كان أبا أو جدا[٥]، والظاهر أنه الزوج لما

١- تفسير ابن كثير، ١/ ٢١٠، البحر المحيط، لأبى حيان، طبعة دار الفكر بيروت، ١٧٧/١، فتح القدير، ١٧٧/١.

٢- سورة البقرة، آية ٢٣٧.

٣- ابن كثير، ٢٨٨/١، الدر المنثور، ٢٩٢/١.

٤- التفسير الوسيط، للواحدى، ١/ ٣٤٨.

٥- المغنى والشرح الكبير، لابن قدامة، طبعة دار الفكر، بيروت، ٧٠/٨.

رواه الدارقطنى بإسناده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ أنه قال: ولى العقدة الزوج[١].

ويفسح القرآن المجال للسماحة والفضل من الطرفين، ﴿وَأَن تَعْفُوَا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ فللزوجة أن تعفو، وتترك ما هو حق لها فهو تنازل القادر عن رضا منها شاعرة مراقبة الله تعالى.

يقول أبو حيان: وكون عفو الزوج أقرب للتقوى من حيث إنه كسر قلب مطلقته، فيجبرها بدفع جميع الصداق لها، إذ كان قد فاتها منه صحبته، فلا تفوتها منه نحلته، إذ لا شئ أصعب على النساء من الطلاق، فإذا بذل لها جميع المهر لم تيأس من ردها إليه، واستشعرت من نفسها أنه مرغوب فيها، فانجبرت بذلك. أ. هـ [٢].

﴿وَلاَ تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾

الفضل: هو فعل ما ليس بواجب من أعمال البر، ويكون من الزوج بإتمام المهر، ومن مطلقته بترك نصفه الذى لها.

وفى هذا حث من الله تعالى للرجل، ومطلقته على الفضل والإحسان، وأن يستبقا إلى العفو.

روى الواحدى عن جبير بن مطعم أن جبير بن مطعم طلق امرأته قبل أن يدخل بها، فأعطاها الصداق كاملا، وقال: أنا أحق بالعفو منها[٣].

حرمان اليهود من عفو المؤمنين

يبين الله تعالى حقيقة اليهود، وحرصهم على فتنة المسلمين، وتمنيهم ردهم عن دينهم، وهذا التمنى من عند أنفسهم، أو حسداً من عند أنفسهم.

وقد حث الله تعالى على العفو، والصفح عنهم حتى يأتى أمر الله. قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً

١- سنن الدارقطنى ٣/ ٢٧٩.

٢- البحر المحيط، ٢/ ٥٣٩.

٣- الوسيط ١/ ٣٤٩، تفسير الطبرى، تحقيق الشيخ محمود شاكر، ٥/ ١٥٢، غرائب النيسابورى، طبعة الحلبى، ٢/ ٢٩٢.

حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

يقول الشوكانى: غاية ما أمر الله سبحانه به من العفو والصفح؛ أى: افعلوا ذلك إلى أن يأتى إليكم الأمر من الله سبحانه فى شأنهم بما يختاره ويشاءه، وما قضى به فى سابق علمه، وهو قتل من قتل منهم، وإجلاء من أجلى، وضرب الجزية على من ضربت عليه، وإسلام من أسلم. أ. هـ [٢].

ويقول الألوسى عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ هو واحد الأوامر، والمراد به الأمر بالقتال بقوله سبحانه: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلى ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [٣]، أو الأمر بقتل قريظة، وإجلاء بنى النضير. أ. هـ [٤].

جزاء العافين عن الناس

إذا كان سلوك الإنسان سبيل الانتصار غير مأمون العثار؛ لأنه لا يحمد إلا بشرط رعاية المماثلة، فمن عفا، وأصلح فقد سلك الطريق المأمون فى الدنيا والآخرة، وجزاه الله أعظم الجزاء، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[٥].

فذكر سبحانه الأجر ووعد به العافين عن الناس فقال: ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾، ثم فسره فى قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٦]، بأنه الجنة، جنة عرضها السماوات والأرض، أعدت للمتقين.

وقد وصف الله المتقين هنا بعدة أوصاف:

١- سورة البقرة، آية ١٠٩.
٢- فتح القدير، ١/ ١٢٨.
٣- سورة التوبة، آية ٢٩.
٤- روح المعانى، ١/ ٣٥٧.
٥- سورة الشورى، آية ٣٩ – ٤٠.
٦- سورة آل عمران، آية ١٣٣ – ١٣٤.

الأول: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾؛ أى: ينفقون فى حالة السعة والضيق، واليسر والعسر، وجعل الله الإنفاق فى سبيله تعالى دليلاً على التقوى، وسبب دخول الجنة، أو أثراً من آثارها حتى فى حالة العسر والضيق.

الثانى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾

قال الراغب: الغيظ أشد الغضب، وهو الحرارة التى يجدها الإنسان من فوران دم قلبه[١].

وكظم الغيظ : حبسه.

ويقول صاحب الكشاف : هو أن يمسك على ما فى نفسه بالصبر، ولا يظهر له أثراً. أ. هـ[٢].

روى أبو داود بسنده عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: من كظم غيظاً، وهو يقدر على إنفاذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق فيخيره فى الحور العين، يزوجه منهن أيها شاء[٣].

الثالث: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾

العفو: ترك مؤاخذة المذنب مع القدرة عليها، وتلك المرتبة أعلى من "كظم الغيظ"؛ لأنه قد يحبس الإنسان غيظه على ضغينة، أما العفو فهو ضبط النفس مع حسن المعاملة.

روى ابن أبى الدنيا بسنده عن عقبة بن عامر الجهنى قال: لقيت رسول الله ﷺ فقال لى: "يا عقبة، صل من قطعك، واعط من حرمك، واعف عمن ظلمك"[٤].

وروى ابن أبى الدنيا من طريق آخر عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله ﷺ يوماً فبدرته فأخذت بيده – أو بدأنى فأخذ بيدى – فقال:

١- المفردات: مادة غيظ.
٢- الكشاف، ١/ ٤٦٤.
٣- سنن أبى داود، ك "الأدب"، ب من كظم غيظاً، سنن الترمذى، ك "البر والصلة"، ب فى كظم الغيظ، وقال الترمذى حسن غريب.
٤- مكارم الأخلاق لابن أبى الدنيا، طبعة مكتبة القرآن، ص ٢٣، هذا الحديث فيه ابن عياش، وحديثه عن غير الشاميين فيه مقال، وأسيد بينه، وبين فروة خالد ابن دريك، انظر التهذيب، ١/ ٣٤٦، وله شواهد عند الإمام أحمد ٤/ ١٤٨، ١٥٨، ١٥٩، وقال الهيثمى، أحد إسنادى أحمد رجاله ثقات، يجمع الزوائد، طبعة الريان، ٨/ ١٨٨.

"يا عقبة، ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا، وأهل الآخرة: تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك"[١].

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وأل هنا إما أن تكون للجنس، والمذكورون داخلون دخولاً أولياً، وإما للعهد، فتكون إشارة إلى هؤلاء المذكورين.

والإحسان يقال على وجهين: "أحدهما الإنعام على الغير، يقال أحسن إلى فلان".

والثانى: إحسان فى فعله، وذلك إذا علم علماً حسناً، أو عمل عملاً حسناً[٢].

ومن الأول ما أخرجه البيهقى أن جارية لعلى بن الحسين رضى الله عنهما جعلت تسكب عليه الماء؛ ليتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من يدها فشجه، فرفع رأسه إليها فقالت: إن الله تعالى قال: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ قال لها: قد كظمت غيظى، قالت: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ قال: قد عفا الله تعالى عنك. قالت: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. قال: اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى[٣].

فالذين يجودون بما لهم فى السراء والضراء، محسنون، والذين يحبسون الغيظ، ويجودون بالعفو محسنون، والله يحب المحسنين.

الرابع: التوابون ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٤]، والذين ارتكبوا فعلة فاحشة، وتطلق على كل معصية، وقد كثر اختصاصها بالزنا[٥]، أو اقترفوا ذنباً من الذنوب ذكروا الله تعالى؛ لأن ذكره يمنع المؤمنين أن يقيم على الذنب؛ أى: تذكروا حقه العظيم، ووعيده، أو ذكروا العرض عليه، أو سؤال عن الذنب يوم القيامة،

١- مكارم الأخلاق، ص ٢٢.

٢- مفردات القرآن للراغب مادة حسن.

٣- شعب الإيمان، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، باب فى حسن الخلق، فصل فى ترك الغضب، ٦/ ٣١٧.

٤- سورة آل عمران، آية ١٣٤.

٥- فتح القدير، للشوكانى، طبعة مصطفى الحلبى، ١/ ٣٨١.

أو نهيه، أو غفرانه[١]، ولا يغفر الذنوب أحد إلا الله ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾، ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، ولم يقيموا على الذى فعلوه من الذنوب، وعدم التوبة منه، وهم يعلمون قبيح صنيعهم.

﴿وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[٢].

فللعافين منزلة كبيرة عند الله يوم القيامة: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾.

أخرج أبو يعلى فى مسنده عن أنس ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر: ما أضحكك يا رسول الله بأبى أنت وأمى؟ فقال: رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة تبارك وتعالى، فقال أحدهما: يا رب خذ لى مظلمتى من آخى، قال الله تعالى: اعط أخاك مظلمته. قال: يا رب لم يبق من حسناتى شئ. قال: رب فليحمل عنى أوزراى. قال: ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، ثم قال: "إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى من يتحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله تعالى للطالب ارفع بصرك، وانظر فى الجنان فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من فضة، وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأى نبى هذا؟ لأى صديق هذا؟ لأى شهيد هذا؟ قال هذا لمن أعطى ثمنه، قال يارب: ومن يملك ثمنه؟ قال أنت تملكه. قال ماذا يا رب؟ قال تعفو عن أخيك. قال يا رب فإنى قد عفوت عنه، قال الله تعالى خذ بيد أخيك فادخلا الجنة. ثم قال رسول الله ﷺ: "فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة"[٣].

١- روح المعانى، ٤/ ٦٠.

٢- سورة آل عمران، آية ١٣٦.

٣- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، للإمام أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل البوصيرى، طبعة مكتبة الرشد الرياضى، ١٠/ ٤١٤، رقم ١٠١٣٨، وذكره ابن حجر فى المطالب العالية، ٤٦٥٥، وعزاه، لأبى يعلى انظر المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لابن حجر العسقلانى، طبعة دار المعرفة، بيروت، ٤/ ٣٩١.

وأخرج جرير عن الحسن "أن الله تعالى يقول يوم القيامة: ليقم من كان على الله تعالى أجر، فلا يقوم إلا إنسان عفا[١]، وقد جعل الله تعالى جزاءه مغفرة عظيمة، ويعلى مكانته، ويرفع درجته.

روى الحاكم بسنده عن أبى بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: "من سره أن يشرف له البنيان، وترفع له الدرجات، فليعف عمن ظلمه، ويعط من حرمه، ويصل من قطعه"[٢].

وروى ابن مردويه عن طريق الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : "إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ يقول: أين العافون عن الناس هلموا إلى ربكم وخذوا أجوركم وحق على كل مسلم إذا عفا أن يدخل الجنة"[٣].

وأى جنة، إنها جنة عظيمة وصفها الله تعالى بقوله: ﴿**عرضها السموات والأرض**﴾، والعرض أقل من الطول.

وفى ذكره دون ذكر الطول مبالغة، وزاد فى المبالغة بحذف أداة التشبيه، وتقدير المضاف، فليس المقصود تحديد عرضها، بل الكلام كناية عن غاية السعة بما هو فى تصور السامعين، والعرب كثيراً ما تصف الشئ بالعرض إذا أرادوا وصفه بالسعة، ومنه قولهم: أعرض فى المكارم إذا توسع فيها[٤].

والجنة فى قوله: ﴿**أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات**﴾، ضمن تلك الجنة التى أخبر الله عنها ﴿**عرضها السموات والأرض**﴾، ووصفها باشتمالها على ما يزينها، ويزيدها حسناً وجمالاً، ﴿**تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**﴾ تجرى من تحت أشجارها، أو من تحت قصورها.

وأنهارها كثيرة قال تعالى: ﴿**مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَارٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ**﴾[٥].

١-

٢- المستدرك، ك ٢/ ٢٩٥، وصححه الحاكم وضعفه الذهبى.

٣- تفسير ابن كثير، ١/ ٤٠٦.

٤- روح المعانى، ٤/ ٥٦.

٥- سورة محمد، آية ١٥.

روى الإمام أحمد بسنده عن حكم بن معاوية عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: فى الجنة بحر اللبن، وبحر الماء، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار منها بعد[١].

وروى ابن مردويه بسنده عن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : "هذه الأنهار تشخب من جنة عدن فى جوبة، ثم تصدع بعد أنهارا"[٢].

وفى مسند أحمد: "إذا سألتم الله عز وجل فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن عز وجل، ومنه تفجر أنهار الجنة[٣].

ووصف الله تعالى الجنة بأوصاف كثيرة فى القرآن الكريم، منها ما ذكره فى سورة الغاشية: ﴿**فِي جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة**﴾[٤].

وفى سورة الطور: ﴿**إن المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون**﴾[٥]، ونعيمها دائم ﴿**أكلها دآئم وظلها**﴾[٦].

وكلما رزقهم الله من ثمرة رزقا ﴿**قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها**﴾[٧]، يشبه بعضه بعضا فى الحسن، والجمال، والجودة.

١- مسند أحمد، ٥/٥، والترمذى فى ك صفة الجنة، ب ما جاء فى صفة أنهار الجنة.

٢- تفسير ابن كثير، ٤/ ١٧٦.

٣- مسند الإمام أحمد، ٢/ ٣٣٩.

٤- سورة الغاشية، آية ١٠ – ١٦.

٥- سورة الطور، آية ١٧ – ٢٤.

٦- سورة الرعد، آية ٣٥.

٧- سورة البقرة، آية ٢٥.

﴿وذللت قطوفها تذليلاً﴾[١]، إذا أراده دنا القطف إليه. قال مجاهد: إن قام ارتفعت معه بقدر، وأن قعد تذللت له حتى ينالها، وإن اضطجع تذللت له حتى ينالها. أ. هـ[٢].

ويطوف عليهم الولدان المخلدون إذا رأيتهم - لفرط جمالهم وحسنهم - حسبتهم لؤلؤاً منثوراً. يحملون صحافاً من ذهب وأكواباً مملوءة بما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين. قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذّ الأَعْيُنُ﴾[٣]، ولباسهم فيها حرير ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾[٤]، وحلوا أساور من فضة وذهب ولؤلؤاً. قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾[٥]، ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[٦].

ومساكنهم ﴿غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[٧]، ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الأَرَآئِكِ مُتَّكِئُونَ﴾[٨]، وهؤلاء الأزواج أنشأهن الله إنشاءً فجعلهن أبكاراً عرباً أتراباً، ومعهن خيرات حسان حور مقصورات فى الخيام، كأنهن الياقوت والمرجان، كأمثال اللؤلؤ المكنون.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[٩].

١- سوؤة الإنسان آية ١٤

٢- مختصر تفسير ابن كثير، للصابونى، طبعة دار القرآن الكريم، بيروت، ٣/ ٥٨٣.

٣- سورة الزخرف، آية ٧١..

٤- سورة الإنسان، آية ٢١.

٥- سورة الكهف، آية ٣١.

٦- سورة فاطر، آية ٣٣.

٧- سورة الزمر، آية ٢٠.

٨- سورة يس آية ٥٦.

٩- سورة الواقعة، آية ٣٥ – ٣٨.

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَآنٌّ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[٢]، ونزه الله تعالى أسماعهم ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً إِلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً﴾[٣]، وغير ذلك من النعيم.

فعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ يقول الله تعالى:" أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، دخراً من بله ما أطلعتم عليه، ثم قرأ ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤]،

وبله؛ بمعنى: غير، أى جعله الله مدخوراً غير ما أطلعكم عليه، فالذى لم يطلعكم عليه أعظم.

وسلام الله على المؤمنين وسلام من الملائكة المكرمين ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٥].

١- سورة الرحمن، آية ٥٦ – ٥٨.

٢- سورة الواقعة، آية ٢٢ – ٢٣.

٣- سورة الواقعة، آية ٢٥ – ٢٦.

٤- صحيح البخارى، ك "التفسير"، ب فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين، والآية رقم ١٧ من سورة السجدة.

٥- سورة الرعد، آية ٢٣، ٢٤.

فهرس المراجع

- القرآن الكريم

١- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، للإمام أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل البوصيرى، طبعة مكتبة الرشد بالرياض.

٢- أحكام القرآن، لابن العربى أبى بكر محمد بن عبد الله، طبعة عيسى الحلبى.

٣- أسباب النزول، للحافظ جلال الدين السيوطى، طبعة القاهرة.

٤- أسباب النزول، لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى، تحقيق كمال بسيونى زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥- الأدب المفرد، للإمام محمد بن إسماعيل البخارى، مطبعة الآداب، بالقاهرة.

٦- الإصابة فى تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلانى، تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٧- البحر المحيط فى التفسير، لمحمد بن يوسف الشهير، بأبى حيان الأندلسى، طبعة دار الفكر، بيروت.

٨- التحرير والتنوير، للعلامة محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.

٩- الترغيب والترهيب، للحافظ المنذرى، نشر مكتبة الدعوة بالقاهرة.

١٠- تفسير القاسمى المسمى، محاسن التأويل، للعلامة محمد جمال الدين القاسمى، طبعة دار الفكر بيروت.

١١- تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، نشر مكتبة التراث الإسلامى، سوريا، حلب.

١٢- تفسير الكشاف المسمى الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التنزيل، لأبى القاسم جار الله الزمخشرى، طبعة مصطفى الحلبى.

١٣- تفسير المنار، للأستاذ محمد رشيد رضا، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٤- التفسير الوسيط؛ لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى، تحقيق دكتور/ أحمد الجمل وأخرون، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥- جامع البيان عن تأويل القرآن، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، تحقيق الشيخ محمود شاكر، وطبعة مصطفى الحلبى.

١٦- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، للحافظ جلال الدين السيوطى، نشر دار المعرفة لبنان.

١٧- دلائل النبوة، ومعجزات الرسول للإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق الأستاذ الدكتور/ عبد الحليم محمود، طبعة دار الإنسان، للطباعة والنشر، القاهرة.

١٨- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للعلامة شهاب الدين الألوسى، طبعة دار الفكر بيروت.

١٩- زاد المسير لابن الجوزى، طبعة المكتب الإسلامى.

٢٠- زاد المعاد فى هدى خير العباد، لابن القيم الجوزية، المطبعة المصرية.

٢١- سنن ابن ماجة، للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى، تعليق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى، طبعة دار إحياء الكتب العربية.

٢٢- السنن الكبرى، للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند.

٢٣- سنن أبى داود، للإمام الحافظ أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى، طبعة مصطفى الحلبى.

٢٤- سنن الترمذى، لأبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى، طبعة مصطفى الحلبى.

٢٥- سنن الدار قطنى للإمام أبى الحسن على بن عمر بن أحمد، طبعة دار المحاسن بالقاهرة.

٢٦- سنن الدارمى للحافظ، أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى، طبعة الريان للتراث.

٢٧- سنن النسائى، لأبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب، بن على النسائى الطبعة الأولى، بالقاهرة.

٢٨- السيرة النبوية، لابن هشام أبى محمد عبد الملك بن هشام المغافرى، نشر مكتبة التوفيقية بالقاهرة.

٢٩- شعب الإيمان، للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

٣٠- صحيح الإمام البخارى، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، طبعة دار الشعب.

٣١- صحيح الإمام مسلم، للإمام مسلم أبى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى، تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى، طبعة دار إحياء الكتب العربية.
٣٢- غرائب القرآن ورغائب الفرقان؛ لنظام الدين النيسابورى، تحقيق إبراهيم عطوة، طبعة مصطفى الحلبى.
٣٣- فتح البارى، شرح صحيح البخارى، للحافظ ابن حجر العسقلانى، ترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى، نشر دار الريان للتراث.
٣٤- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكانى، طبعة مصطفى الحلبى.
٣٥- فى ظلال القرآن للمرحوم الأستاذ سيد قطب، طبعة دار الشروق.
٣٦- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، طبعة مصطفى الحلبى، الطبعة الثانية.
٣٧- لسان العرب، لابن منظور، طبعة دار المعارف، القاهرة.
٣٨- مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين على بن الهيثمى، طبعة دار الكتاب العربى.
٣٩- مختصر تفسير ابن كثير، اختصار الدكتور محمد على الصابونى، طبعة دار القلم، بيروت.
٤٠- المستدرك على الصحيحين؛ لأبى عبد الله الحاكم النيسابورى، طبعة دار المعرفة، بيروت.
٤١- مسند الإمام أحمد بن حنبل، نشر المكتب الإسلامى.
٤٢- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لابن حجر العسقلانى، طبعة دار المعرفة، بيروت.
٤٣- معالم التنزيل، للإمام البغوى، طبعة دار المعرفة، بيروت.
٤٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى، طبعة دار الشعب.
٤٥- معجم مقاييس اللغة، لأبى الحسين، أحمد بن فارس تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، طبعة مصطفى الحلبى.
٤٦- المغنى والشرح الكبير، لابن قدامة، طبعة دار الفكر، بيروت.
٤٧- مفاتيح الغيب، للإمام أبى عبد الله محمد بن عمر الرازى، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٨- مفردات القرآن، للراغب الأصفهانى، طبعة دار الفكر.

٤٩- المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى، لأبى حامد الغزالى، تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن.
٥٠- مكارم الأخلاق، لابن أبى الدنيا، طبعة مكتبة القرآن.
٥١- الناسخ والمنسوخ، لأبى جعفر النحاص، تحقيق دكتور شعبان محمد إسماعيل، طبعة مكتبة عالم الفكر بالقاهرة.